عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الثانية: حلمي الوحدة والكرامة
الدرس الأول: حلم الوحدة وسبل الاسترجاع
اسم المحاضر: الأستاذ الدكتور أحمد عبادي

# حلم الوحدة وسبل الاسترجاع

**باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين**

حُلم الوحدة من الأحلام التي اجتالها المارقون وأصبحوا يروجون لأنفسهم باعتبارهم القادرين على تحقيقها، وهذا الترويج له جاذبية كبيرة قادرة على اجتلاب الباحثات والباحثين عن التئام شمل هذه الأمة وخروجها من حالة التعضدية وحالة التشظية التي عرّضتها لأضرب من عدم القيام بمَهَمَّة الشهادة التي قال الله عز وجل عنها في سورة البقرة: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [ البقرة: 143]، ومن ثمة فإن الاستجابة التي نلحظها؛ والالتحاق بصفوف هؤلاء المارقين، فإن الذي نلحظه ليس منطلقه هو الثمرات العملية، والتي بالقياس الذي يتم بالرد إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي العلم من هذه الأمة؛ وإلى أولي الأمر بمختلف طبقات هذه الأمة، القياس الذي بمقتضاه يتم الرد إلى كل ذلك، ويبين أن هذه الثمرات ليست بالقدر الذي يعطي من المصداقية ما يُشرّع لمثل هذا الالتحاق، لكن ترك هذا الحلم دون استرداده واسترجاعه له بالفعل مغبات كثيرة، كما أن ترك الأحلام الثلاثة الباقية: حلم الكرامة، وحلم الخلاص، وحلم الصفاء، بين أيدي هؤلاء لاستغلالها هذا الاستغلال، الشيء الذي رأينا ثمراته السلبية، هذا أمر لا يجوز عند علماء الشرع الحنيف؛ لأن عندهم من استطاع أن يحدّ من فتنة فلم يفعل فإنه يكون واقعا لا قدر الله في الإثم.

من هنا فإن المنازلة في هذه الحلبة؛ الحلبة الخاصة التي هي من الحلبات الغير المعتادة، حلبة الحلم واسترجاع هذه الأحلام بتقديم ما ينبغي تقديمه من أجل تحقيقها، أمر بات من الفروض اللازمة.

هذا الحلم الذي هو حلم الوحدة من الأمور التي فرضها الله عز وجل على هؤلاء الذين التفوا حول كتاب الختم، وحول نبي الختم؛ كتاب الرحمة ونبي الرحمة من أجل إشاعة الرحمة؛ لأن هذا الفضل

كله هو رحمة للعاملين ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، فتحقيق هذه الرحمة أمر من الضرورات، وهناك من النصوص الكثيرة ما يشهد لفرضية القضية المتصلة بالوحدة باعتبارها قضية أساسا؛ قضية مركزية، إلى درجة أن جملة من العلماء جعلوها هي المقصد السادس، وعند بعضهم هي المقصد السابع عند الذين دققوا في مقصد العِرض، وفكّكوه إلى كل من الكرامة والنسل.

جملة القول إن تحقيق الوحدة لابد من أن يتم السعي من أجله بطريقة فيها التنسيق بين الجهود، وأن لا يترك هذا الأمر لكي يُستغل كل هذه الأضرب من الاستغلالات التي بتنا نرى آثارها ونتائجها الوخيمة.

الله عز وجل يقول في سورة الأنفال: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 46]؛ أي أن هذه الأمة قد شُبِّهت بالسفينة، وأن هذه السفينة لها شِراع، وهذا الشراع هو الذي تأتي إليه الرياح الطيبة؛ رياح الهداية بالوحي وبحكمة الوحي، وبأحكام الوحي وبقيم الوحي، من أجل أن يُدفع إلى بر الأمان وإلى دار السلام؛ التي هي الجنان المترتب عن الفوز برضوان الله سبحانه وتعالى. هذه الريح الطيبة؛ ريح هداية الوحي في جوانبها الاجتماعية إذا لم تكن هذه النسقية، وهذه الوحدة، فإن الأمة سوف تشبه الشراع الممزق، والذي وإن نفخت فيه الريح فلن تأخذه إلى دار السلام كما قال الله سبحانه وتعالى، فالفشل هو الانفكاك الذي يقع بين مختلف خيوط هذه النسيج الوحدوي المبارك، وإذا تباعدت هذه الخيوط وانفكت فإن هذا سوف يؤدي إلى عدم جدوى الريح التي سوف تنفخ في هذا الشراع. ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ أي هذه الخيوط سوف تنحل ولن يبقى الشراع بالفعل شراعا.

فإذن فالوحدة أمر وظيفي، وهو ما جلّاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذا من مشكاة كتاب الختم حين قال: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1]؛ أي أن هذا العمل الذي فيه التراحم وفيه التوحد هو الذي يمكن من بقاء هذه السفينة؛ لأن العجنة الأولى لهذه الأمة عجنة منطلقة من قيم حاكمة؛ قيم

1. أخرجه البخاري في صحيحه من حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كتاب الشَّرِكَةِ، باب: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، حديث رقم: (2493).

تروم إرساء وحدة قياسية على الصعيد الأممي، وهو قوله الله جل وعز: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: 143].

هذا لا شك يقتضي أضربا من العمل الميداني، وهذه الأنواع من العمل الميداني تبدأ من بلورة المضامين الحاملة للقيم الدافعة للتئام الشمل والتئام الصف، هذه القيم أيضا هي قيم لا شك سوف تبعد كل النزعات التي من شأنها تمزيق هذه الشِّرعة أو هذا الشِّراع الذي يمكن من الانتفاع بريح هداية الوحي، ويمكِّن من الإبحار الجماعي أو الرحلة الجماعية سجودا واقترابا وابتغاء لوجه سبحانه وتعالى، فأول شيء لا شك هو إيجاد هذه المضامين الحاملة لهذه القيم، والموجّه لتصيير هذه القيم أهدافا وجدانية، والأهداف الوجدانية لها صنّافاتها، وهي تختلف عن الأهداف العقلية والفكرية، أو عن الأهداف العضلية في علم التربية، إذن لابد من استراتيجية تربوية يتم بمقتضاها سكب هذه القيم في مضامين أخرى عملية؛ هي مضامين تربوية من أجل أن ينتفع بها التلاميذ في نعومة أظافرهم، إذا فرّقنا هؤلاء التلاميذ صغارا كيف أن نوحّدهم وهم كبارا، فالمسألة تمر إلى إيجاد كذلك بدائل في مجال الرسوم المتحركة، والقصص المصورة، وكل الأمور التي تستهوي الناشئة من أبنائنا وبناتنا، والذين لا تنفتح فُهومهم على الشاكلة التي تنفتح بها فُهوم هؤلاء الذين نسميهم راشدين، والذين درجوا على أنماط من التلقي ليست هي الأنماط التي ألفها ودرب عليها ناشئتنا الذين ولدوا في العصر الرقمي؛ في عصر النت وعصر النانو تكنولوجي، ولذلك لابد من أخذ هذه الأمور بعين الاعتبار.

هذه المواكبة إذا لم تُكمّل بأضرب من العمل الميداني؛ حيث ندفع هؤلاء الصغار للعمل الاجتماعي عن طريق أندية، وهذه الأندية يتم فيها التكافل مع ذوي الخصاص ومع أهل المعاناة في مجتمعاتنا، فإن أمر الوحدة سيبقى شعارا ولا يمكن أن يصبح واقعا عمليا، فالوحدة تُبنى انطلاقا من هذا البعد التضامني، ثم مرورا بكل الحوامل البيداغوجية كالألعاب الجماعية وغير ذلك من أضرب الأداءات التسلوية المشتركة التي تدفع إلى التئام الشأن وإلى التوحد.

أيضا أن نصعد إلى هذه البعد التاريخي الذي كله حديثٌ عن الفرقة وكله حديث عن الولوغ في الدماء وعن القتل والقتل المضاد، إلى غير ذلك من الأمور التي وجب إعادتها إلى نصابها من أجل أن نلقن هذا التاريخ بإيقاف المتلقين على الهنات والأخطاء التي فيه، في مقارنة بالبعد الماثل في كتاب الله، وفي سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث النص على هذه الوحدة بطرق في غاية الشخوص وفي غاية الجلاء والوضوح.